

أثر الانزياح في جمالية بلاغة نهج البلاغة

(دراسة الدنيا إنموذجا)

الأستاذ المساعد الدكتور طالبة الماجستير:

أفرين زارع و ناديا دادبور

(جامعة شيراز - الجمهورية الإسلامية الإيرانية)

أثر الانزياح في جمالية بلاغة نهج البلاغة

(دراسة الدنيا إنموذجا)

الاستاذ المساعد الدكتور: طالبة الماجستير

أفرين زارع و ناديا دادبور(جامعة شيراز- الجمهورية
الاسلامية الايرانية)

الملخص:

إن النص هو الجسر الذي يوصلنا إلى الدلالات الجميلة السامية التي قصدها الكاتب وأرهق نفسه ليلقيها على السامع أو المتلقي، فإذا قصر بال مخاطب عن فهم المقصود فاته الكثير من الجماليات الخفية وهذا ما يسوء وينوء، فإسء هذه الفجوة بدأت الدراسات الأسلوبية تتكاثف لدى النقاد المعاصرين حتى ظهرت أسلوبية تسمى بالانزياح هي التي تخرق درجة الصفر المعياري وبخرقها تسهم إسهما كبيرا في جمالية النصوص ولاسيما الأدبية والفنية منها؛ فالانزياح بأنواعه التركيبي والاستبدالي والصوتي يعتبر مركزا رئيسا في دائرة النص الفني البلاغي وما يلعب في النصوص لمعان الدر والياقوت هو نهج البلاغة . استهدفت هذه المقالة القيام بتحليل انزياحي شامل في خطب نهج البلاغة التي تتمحور في معنى الدنيا لتكشف عن ساقى حقيقتها ولتبين أثر الانزياحات النصية ودورها الحاسم في جمالية بلاغة نهج البلاغة واستنتجت أخيرا بأن الانزياحات الموجودة في هذه النصوص هي التي أسهمت في تعميق الثالوث الدلالي

وارتقاء المستوى البلاغي في هذا النص الذي انفراد
ببلاغته.

الكلمات الرئيسية: نهج البلاغة، الجمالية، أسلوبية
الانزياح، التحليل، الدنيا.

نهج البلاغة هو نهج في البلاغة ومحيط عظيم من
المعارف الحقة التي لا يكاد أحد يدرك غورها ويمعن
فحواها وهو نور قد سطع من صدر وصفه رسول الله
- صلي الله عليه و آله وسلم - بباب مدينة العلم فمن
يدق باب مدينة العلم لا شك يدخل مدينة مفعمة بالكنوز
النادرة.

فهذا الكلام الذي يكون دون كلام الخالق وفوق كلام
المخلوق، لاشك يتميز بميزات خاصة ترفع مستواه عن
النصوص العادية الموجودة .

وهذه الميزات تتمظهر في الأسلوبيات الحديثة بشكل
أدق.

ومن أهم هذه الأسلوبيات التي ترعرعت في العصور
المتقدمة واعتبرت ميزاناً جديراً في تقييم النصوص هي
أسلوبية الانزياح.

فالقيام بعملية تطبيقية وتبيين مواضع الانزياحية تعطي
المخاطب قدراً كبيراً من الإيحائية الخفية التي استترت
في طيات الكلام وهذا ما يفتح النوافذ البديعة أمام
المتلقي.

نهج البلاغة وهو أكثر النصوص غني و ثراءً لا بد أن
يكون المحور الرئيس في الدراسات الأسلوبية، لأنه
يقدم بضاعة ثمينة للأدب يتضح هذا الأمر اتضحاً
واسعاً إثر الدراسات التطبيقية.

أما ماهو الانزياح وما الدور الذي يقوم به في نضوج
النص الأدبي فيكاد الإجماع ينعقد على أن الانزياح:

«خروج عن المؤلف أو ما يقتضيه الظاهر أو هو خروج عن المعيار لغرض قصد إليه المتكلم أو جاء عفواً الخاطراً، لكنه يخدم النص بصورةٍ أو بأخرى و بدرجات متفاوتة...» وهو كما يعتقد صلاح فضل: الانتقال المفاجئ للمعنى^١.

والانزياح ينقسم إلى أقسام مختلفة وكل قسم منه يلعب دوراً حاسماً في ترقية المستوى الدلالي الإيحائي في النص.

فالانزياح يدرس على مستويين رئيسين: المستوى اللغوي والمستوى التركيبي:

١. المستوى اللغوي الذي يسمى بالانزياح الاستبدالي يعالج اللغة الصرفة الموجودة في ذاتها من دون النظر إلى موقعها التركيبي وتستوعب الأمور التالية:

الاستعارة

التشبيه

الكناية

٢. المستوى التركيبي: يدرس اللغة على نسق الوحدات التركيبية والترتيب الموجود في البنية العميقة. الأمور التي يتطرق الانزياح التركيبي إليه تنقسم إلى أقسام عدة منها:

التقديم و التأخير

الحذف و الإضافة

الالتفات

١. راجع: أبو العدوس، ٢٠١٠/١٧٥.

الانتقال من موضوع إلي آخر

إضافة إلى هذين القسمين الرئيسيين الذين سبق ذكرهما توجد انزياحات أخرى منها: الانزياح الصوتي الذي يعالج مدى تأثير الفونيمات المختلفة في دلالتها أو تأثير التكرار في إيحائية النص، والانزياح الدلالي الذي يسعى في توسيع عنصر المفاجأة لينمي الفاصل المعنوي بين البنية العميقة والبنية السطحية.^١

الانزياح الاستبدالي في نهج البلاغة:
التشبيه: الأركان الرئيسة في التشبيه الكامل هو: المشبه، والمشبه به وأداة التشبيه ووجه الشبه.
درجة الانزياحية في التشبيه تتكاثف حين يحذف أداة التشبيه ووجه الشبه ويغترب التشبيه.
ولا يغترب التشبيه إلا في التباعد الدلالي الموجود بين المشبه والمشبه به.
أنظر إلى التشبيه التالي:
«تّى كأنّ الذي ضمن لكم قد فرض عليكم».^٢

أداة: كأنّ
المشبه: الذي ضمن لكم
المشبه به: فرض عليكم
وجه الشبه: شدة العناية والاهتمام
درجة الانزياحية: إيجاد العلاقة بين وحدتين دلالتين متضادتين:
الضمان والفرض

١ . راجع: محمد ويس، ٢٠٠٥، ١١١-١٢٠ و ٧٠-٧١؛
ميرغني، ٢٠٠٩، ٧٠ و ٧١.
٢ . خ ٢٧٩ / ١١٤ .

هنا يدور الكلام حول الناس الغافلين الذين لم يهتموا بما فرض عليهم من الواجبات، بل أرهقوا أنفسهم في سبيل الحصول على الأموال؛ جعل الإمام هذه الغفلة التي أدت إلى إهمالهم الدين نقطة رئيسة لانتباههم و إيقاظهم فلهذا صنع حصراً دلاليّاً يوصل الضمان إلي الفرض. فإله سبحانه وتعالى ضمن أرزاق الناس وثمة طلب منهم أمراً واحداً هو أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً لأنه ما خلق الجنّ والإنس إلا ليعبدوه. لا يتم هذا الغرض الدلالي إلا إثر هذه الانزياحية أي الانتقال من الاهتمام بالواجبات المفروضة إلى الاهتمام بالرزق المضمون. أنظر إلى الخريطة التالية:

الرزق مضمون إهمالها
وعدم الاهتمام بها

الواجبات الدينية مفروضة يجب العناية والاهتمام بها

فالتشبيه ودرجة الانزياحية الكامنة فيه هو الذي أثر أثراً بالغاً في تأدية المعنى.

«نمّا الدنيا دار مجاز والآخرة دار قرار»:

المشبه	الدنيا	الآخرة
المشبه به وجه الشبه درجة الانزياحية:	دار مجاز عدم البقاء والفناء الانتقال من الواقع إلى المجاز	دار قرار القرار والأبدية الانتقال من الوحدة المعنوية الغير محسوسة إلى الوحدة المادية المحسوسة
أداة التشبيه	محذوف لدنوّ طرفي التشبيه	محذوف لدنوّ طرفي التشبيه

الإمام استخدم هذا التعبير ليخرج الناس عن العادية التي اتكؤوا عليها خطأ و يبين لهم ما قال الله سبحانه و تعالى: «وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهي الحيوان».

فالإنسان الذي أبصر النور في هذه الدنيا ولم يذق حياة أخرى، كثيراً ما يعتبر هذه الدنيا مأمناً ومستقراً لنفسه، ويغفل عن الحقيقة التي لا بد منها وهي الموت والانتقال من هذه الدنيا إلى الآخرة الأبدية.

فإذا كانت الدنيا تنتهي بما فيها من حلاوة ومرارة، فهي لا تجدر أن تكون حقيقة سرمدية؛ إذ الذي يزول لا يكون إلّا مجازاً، ولكن هذه الحقيقة غير ملموسة عند من يعيش في الدنيا.

فالإتيان بهذا التشبيه، وحذف الأداة للتسوية وامتزاج بين المشبه والمشبه به يلعب دوراً حاسماً في تأدية المعنى.

والآخرة التي بعيدة عن أهل الدنيا غالباً ما تنسى وتداس تحت أرجل الجهالة، فهذه الوحدة الدلالية توقظ الناس حيث إنها تبعدهم عن الواقع الذي اطمئنوا إليه وترشدهم نحو الحقيقة القاطعة؛ فما يكون عند الناس مجازاً (الآخرة) يصبح واقعاً ملموساً وما يكون واقعاً ملموساً عندهم يتحول إلى المجاز الذي لا طائل وراءه. أنظر إلي النموذج التالي:

مجاز

حقيقة

الآخرة

- «فكانت كيوم مضى أو شهر انقضى»^١.

درجة الانزياحية إلحاق المحسوس المادي المكاني بالوحدة الزمانية المعنوية.	نوعية الوحدة مادية محسوسة مكانية	الدنيا	المشبه
	زمانية معنوية.	يوم، شهر	المشبه به
		ك الانقضاء	أداة التشبيه وجه شبه

هذه الوحدة المعنوية تذكرنا هذه الآية الشريفة:
«قال قائل منهم كم لبثتم قالوا: لبثنا يوماً أو بعض
يوم»^٢؛ يحسب الإنسان أنه يعمر ما بقى الدهر أو يظن
بأن هذه الدنيا لا انقضاء لها فهذا التشبيه الزمكاني قلبَ
ظهر المجن وجعل الحقيقة نصب العين وهذا الانزياح
الدلالي الذي أنجبه هذا التشبيه، له كبير دور في كشف
غطاء الجهالة وظهور المعنى الذي أغمض الناس
عيونهم عنه.

فاليوم الذي ينقضي أو الشهر الذي يولى ليس له شأن
في أعمال الشخص حالاً أو مستقبلاً.
وحدة المشبه به زمانية وهي تعطي المخاطب معنى
خاصاً؛ إذ هو يبصر بأن الدنيا مهما طالت قصيرة جداً
بالنسبة إلى الآخرة التي يوم واحد منها كآلف سنة.
«وكان ليلهم في دنياهم نهراً تخشعاً واستغفاراً وكان
نهارهم ليلاً توحشاً وانقطاعاً»^٣. فالمؤمنون الذين
يعيشون في هذه الدنيا لا بد أن يغتتموا فرصهم القليلة
ويبدخروا زاداً جديراً لرحلتهم إلى دار قرارهم فيصبح

١. خ ١٣٢ / ٤١٨ .

٢. الكهف: ١٩.

٣. خ ١٣٢ / ٤١٨ .

ليلمهم كالنهار»وبالأسحارهم يستغفرون»^١ فلا يضطجعون في الليالي ولا تكف ألسنتهم عن ذكر الرحمن في السحارى. هذا المعنى الدلالي انساق في انزياحية بديعة. أنظر إلي النموذج التالي:

المشء به	المشبه به	وجه شبه	أداة التشبيه	درجة الوحدة	درجة الانزياحية
الليل	النهار	الاستيقاظ و حذف	التنبيه	زمانية	الطباق الزماني (تشابه بين وحدتين متضادين)

هذا التشبيه يتميز بدرجة كبيرة من الانزياحية؛ إذ وَحَدَّ بين وحدتين متباعدين؛ فالليل يشبه النهار، والنهار يقترب من الليل.

والتباين الموجود في هذه الانزياحية تباين زماني لوني فالليل مظلم حالك وهو ساعة جعل للنوم، والنهار مضيءٌ فاتحٌ جُعِلَ للعمل والنشاط. فليس هذا التشبيه إلّا انزياحاً تاماً لأنه استخدم الطباق في إثبات دلالاته:

الليل (الاستيقاظ و العبادة)
النهار

قال الإمام علي - عليه السلام - في وصف الدنيا وزمنها المحدد:

«ألا وإنّ الدنيا قد ولّت حدّاء فلم يبق منها إلّا صباية كصباية الإناء اصطبها صابها ... فلم يبق منها إلّا سملة كسملة الإداوة أو جرة كجرة المقلة لو تمزّزها الصديان لم ينقع»^٢.

١ . الذاريات / ١٨ .

٢ . خ ٥٢ / ١٥٦ .

نوعية الوحدة معنوية زمانية	نوعية الوحدة ذهنية الانتقال من الوحدة المعنوية الذهنية الزمانية إلى الوحدة المادية الحسية	ما بقي من الدنيا	المشبه
		صباية في الإناء القلة أداة التشبيه ك	المشبه به وجه شبه أداة التشبيه ك

إنّ الدنيا تمضي بسرعة فائقة والموت يقترب شيئاً فشيئاً وكأنه لم يبق من الدنيا إلّا قليلاً وهذه القلة يشبه الماء القليل الذي يبقى في قراره الإناء. الزمان شُبه بالماء الذي بقي في الإناء بعد صبه؛ تشبيه الزمان الذي لا يمكن مسه بالسائل الذي يرى بجامع الكمية القليلة، لا يكون إلّا انزياحاً مفاجئاً.

درجة الانزياحية الانتقال من الوحدة	نوعية الوحدة ذهني زمني	ما بقي من الدنيا	المشبه
الذهنية الزمانية إلى الوحدة المادية	مادي حسي مادي حسي	سملة الإداوة جرعة المقلة عدم الانتفاع لأجل الكمية القليلة ك	المشبه به وجه شبه أداة

لكن الإمام لن يكتفي بتشبيه الزمن القليل والفرصة القصيرة إلى صباية الإناء، بل لتقرير المعنى في ذهن السامع يستخدم انزياحين آخرين. ومن الملحوظ أن التشبيهين يتفقان في نوعية الوحدة ودرجة الانزياحية، وهذا يظهر دقة الكلام؛ فالبنية العمقية ترشدنا إلى أنّ هذا التركيب اللفظي يحتوي على ثلاث مؤكّدات خفية، تمظهرت إثر هذا التحليل الإنزياحي الذي أراح الستار عن وجه البنية السطحية.

هذه التشابيه وردت لتساعد المتلقي على إدراك ماهية الدنيا وحقيقتها الفانية.
وهناك تشجيع على اغتنام الفرص والاهتمام بالثواني الباقية؛ هذا ما يؤدي إلى إقناع المخاطب و إيقاظه.
أما الانزياح الاستبدالي فلا ينحصر في التشبيه بل الاستعارة تقع في قمة هذا النوع من الانزياحية.
فلتبيين دورها (الاستعارة) في تأدية المعنى وإيحائية النص ندرس نماذج منها؛ كلما ابتعد طرفا التشبيه كثرت درجة الانزياحية في التشبيه.
نماذج من الانزياح الاستبدالي (الاستعارة):
«كونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإنّ كل ولد يلحق بأمه يوم القيامة».

الاستعارة

وجه الشبه	المشبه به	المشبه
الأخوة الأم	الأم	الدنيا

درجة الانزياحية

المشبه

المشبه به

الدنيا

الأم العالم المادي و ما فيه إنسان دون حياة حي كبير حجماً صغيراً جرماً ففي هذه الاستعارة عنصر المفاجأة واضح جداً: تشبيه الدنيا والآخرة بالأم، وتشبيه الذين تعلقوا بالدنيا أو اهتموا بالآخرة بأولاد هذه الأم.
ما يثير العجب في هذه الوحدة الدلالية، هي العلاقة التي وجدت إثر هذا التشبيه الخفي.

١. خ ٤٢ / ١٤٧.

فالأولاد يولدون من الأم، يربون في حضنها و يأخذون
ميراثها فأهل الدنيا كالدنيا، غدارون، غير مطمئنين
ولا يهجون إذ لا قرار في وجودهم الذي ترحزح عن
الإيمان؛ وأهل الآخرة كالآخرة يتميزون بالثبوت و
الحيوية ونشاطهم ماءً تفجر عن إيمانهم الخالص العميق.
وهذا المعنى اتخذ سبيل الرقيّ والتعالى لأجل
الانزياحية الكبيرة التي تمتع بها النص.
«إنّ اليوم عمل ولاحساب وغدأ حسابٌ ولاعمل».

المشبه الدنيا	المشبه به اليوم	المشبه آخرة غداً	المشبه به
وحدة مادية	وحدة زمانية	وحدة معنوية	وحدة زمانية
الدنو والقرب	الدنو الزماتي و القرب الزماتي	البعد	البعد الزماتي

هذه الانزياحية تتمظهر في اغتراب المشبه في الواقع
العادي عن المشبه به، إن الذين يعيشون في هذه الدنيا،
يغترون بها ويحشدون الآمال ويشيدون القصور
لأنفسهم وكأنها هي ولا غيرها.
فهذه الاستعارة رؤية تنبيهية كأنه يقول:
لا تغتروا بالدنيا ولا تحسبوا سرمدية أزلية.
كأنها يوم ينقضي بسرعة فائقة.
وهذا اليوم ليس يوم النزهة والترفيه ولايوم الكسل
والعطل بل هو يومٌ لا بد من العمل فيه لأنّ الغد أت من
قريب ولا حائلاً عنه يحيد.
فإنّ غداً لناظره قريب .
الآخرة لقربها تمثلت في وحدة زمانية قريبة أي الغد.

فهناك انتقال من الوحدة المادية إلى الوحدة الزمانية:

الدنيا مادي
اليوم زماني
«فخذوا من ممركم لمقركم».

الدنيا كالممر؛ والعقل السليم يحكم ببذل الجهود وإرهاق النفس فيه لعمران المقر، وعمارة الممر وترك المقر، غاية الجهل والغباوة. هذه الاستعارة توضح حقيقة الدنيا وماهيتها فمهما يكن من الأمر الإنسان لا شك يغادر الدنيا ولا شك يصل إلى الآخرة التي تخبره عن عمله. هذا التجسيد يزيل الغموض عن وجه الحقيقة ويكشف من ساقى الدنيا؛ الدنيا جسر يوصل الإنسان إلى مقره أي الآخرة، فلا داعي للاهتمام بها لنفسها.

المشبه	المشبه به	الوحدة المشتركة
الدنيا أتراحها وأحزانها	الممر	عدم البقاء الحركة والنشاط وسيلة لا غاية

شبكة الانزياحية
حياة الدنيا
الممر

وحدة معنوية
وحدة مادية

عنصر الحركة غير واضح
عنصر الحركة بارز جداً

١. خ ٢٠٣ / ٤٦٦.

حذف المشبه في جميع الاستعارات ووضع المشبه به لتبيين المعنى هو العامل الرئيس في تضخيم المعنى و تكثيف الصورة.

الممر يحتوي على مشاكل خاصة وصعوبات مرهقة لكن هذه الصعوبات لاتدوم ولا تثقل كاهل المارّ لأنه لاينظر إليها بل يريد أن يجتازها ليصل إلى مقصده، فتخف عليه وتسهل.

الممر عادة ما طويل ومحدد ولا أحد يستقر فيه بل هو مكان الحركة والنشاط وهو الوسيلة للوصول إلى الغاية فالدنيا كذلك.

والإمام علي عليه السلام بهذه الوحدة القصيرة وضح قسماً كبيراً من ماهية الدنيا.

شبكة الانزياحية هي التي ساعدت على تعميق المعنى وتوسيع استيعابية الكلام.
«إنّ اليوم مضمار وغداً السباق»^١.

هذه الصورة الانزياحية رائعة وهي تحث الناس علي العمل ومبادرة الأعمال الصالحة. المضمار الموضع والزمن الذي تضمّر فيه الخيل.

وتضمير الخيل أن تربط ويكثر علفها وماؤها حتى تسمن ثم يقلل علفها وماؤها وتجري في الميدان حتى تهزل... وإنما يفعل ذلك بالخيل لتخفف في الجري يوم السباق كما أننا نعمل اليوم في الدنيا للحصول على السعادة في الأخرى»^٢.

١. خ ١٢٥/٢٨.
٢. عبده، ١٢٥/٢٠٠٠ و١٢٦.

الوحدة المشتركة	المشبه به	المشبه
ساحة التأهب و الاستعداد	يوم المضمار الخيال	الدنيا الإنسان
	التعلف و التهيأ للسباق	اتخاذ الزاد والعمل الصالح شبكة الانزياحية

فلا بد للإنسان أن يتزود في دنياه لأخراه.
ولابد أن يسعى ويجتهد لينال قصب السبق من الآخرين
حتى يصبح من الفائزين.
لأنّ «السابقون السابقون اولئك المقربون»^١ فهذه
الاستعارة خير تمثيل للاستعداد للأخرة. الدنيا دار
منافسة والأخرة دار يتميز فيه الخبيث من الطيب.
«كيف يكون بينهم تزاور وقد طحنهم بكلكلة البلى
وأكلتهم الجنادل والثرى»^٢.

هنا تتمظهر صورة الدنيا الحقيقية ومصير كل حي أبصر
النور فيها، فكل من عليها سائر إلى الموت وإنا لله وإنا
إليه راجعون.

هذا وصف الموتى الذين رحلوا من هذه الدنيا الدنية؛ إذ
طحنهم الفناء بكلكلة وصاروا خير قوت لآحجار
الأرض وترابه.

الفناء كأنه جمل أناخ على الأحياء وأهلكهم وكأئهم
أطعموا أحجار الأرض وثرأه حينما اضطجعوا في

١ . الواقعة / ١٠ .
٢ . خ ٢٢٦ / ٥٠٣ .

قبورهم، هذا التجسيد الدقيق الانزياحي يلعب دوراً حاسماً في التصوير الخطابي.
أنظر إلى الشبكة الانزياحية التالية:

المشبه	المشبه به	الوحدة المشتركة
الفناء	الجمال	الجلوس والإناخة الثقيل
العصوبات التي تؤدي إلى الفناء	الكلكل	
وضع الميت في القبر، ورش التراب عليه	أكل الجنادل والثرى	إمحاء الشيء وإزالته

الفناء معني معنوي انزاح إلي الجمال حيوان ذي روح مادية .

الصعوبات المستعصية شبهت بكلكل الجمال وهذا انتقال من الوحدة المعنوية إلى الوحدة المادية.

وضع الميت في القبر، ورشّ التراب عليه عبر عنه بتجسيد مفاجئ، كأن الأحجار والتراب حيوان شرس افترس الميت وأكله حتى صار هباءً منثوراً، فالاستعارة وهي من أهم أنواع الانزياح الاستبدالي أفعمت كلام الامام، وقامت لتؤدي المعنى المقصود، وتصور ما يصور بأروع شكل، وراحت تنعش الكسالي وتوقظهم من سكرتهم التي غمرتهم. أما الكناية تعتبر من أنواع الانزياح الاستبدالي؛ من نماذجها هي:

«إلزموا الأرض واصبروا على البلاء»: كناية عن السكون^١.

«رياحهم راكدة»: ركود الريح كناية من انقطاع العمل وبطلان الحركة^٢.

«أخرجوا من الدنيا قلوبكم»^٣.

تتجلى درجة الانزياحية في الكناية باختلاف المعنى الكنائي بالنسبة إلى المعنى اللغوي المعجمي.

الشبكة الانزياحية

نقطة المفاجأة	المعنى الكنائي	المعنى اللغوي المعجمي
الانتقال من المعنى المادي إلى المعنى المعنوي. لزوم الأرض السكون	السكون	الزموا الأرض: لزوم الشيء: عدم مفارقتها والتعلق به رياحهم راكدة: ركود الريح: انقطاع هبوبها وسكونها
الانتقال من الصورة المادية الطبيعية إلى الصورة المادية الإنسانية انقطاع الهبوب انقطاع العمل	انقطاع النفس عن حبّ الدنيا	أخرجوا من الدنيا قلوبكم: الخروج من المأزق: التخلص منه

ما يستنتج من الشبكة الانزياحية هو:

١. خ ١٩٠/ص ٤١٧.

٢. خ ٢٢٦/ص ٥٠٣.

٣. خ ٢٠٣ / ٤٦٦.

أولاً: لزوم الأرض والسكون عن المحاربة عند عدم توفر أسباب المغالبة أمر لازم و هذا المعنى مؤكد عليه إثر هذا الانتقال أي العدول من المادي إلى المعنوي؛ ولا يتم المعنى إلا بواسطة الانزياحية.

ثانياً: ترك الانزياح أثراً بعيداً في الكناية الثانية: كل من عليها فان وكل من عليها يتمائل مصيره والغابرون الذين خمدت أصواتهم وانقطعت نشاطاتهم مثلهم كمثل الريح التي شرعت تهب حتى إذا ركبت كأن لم يكن لها أثر، فهكذا الموت يقطع عملهم المتواصل ويبطل حركتهم.

فهناك انتقال من الصورة الطبيعية أي هبوب الرياح إلى الصورة الإنسانية المادية أي الحركة والنشاط.

ثالثاً: الدنيا مأزق ضيق لا يجدر بالعناية والاهتمام بل الذي يسجن في المأزق لا يزال يجتهد في خلاص نفسه منه؛ فالدنيا سجن ضيق ولا بد للقلب أن يتخلص منه وينقطع عنه.

فالهيكل المعنوي البعيد عن الحس شبه بالهيكل المادي الحسي.

٢. الانزياح التركيبي: وهو ما يقع في الروابط الموجودة بين الدلالات في عبارة واحدة أو في التراكيب عامة وقيمة احتوائه على كمية كبيرة من الطاقات الجمالية^١.

١ . راجع : محمد ويس؛ ٢٠٠٥/١٢٧-١٢٠.

كما أنه «يتمثل في وقوع الكلمة في موقع يخالف المكان الصحيح على حسب النظام اللغوي والنحوي في اللغة المعينة...»^١.

يمكن أن ندرج في محيط الانزياحات التركيبية الأمور التالية:

١. الحذف

٢. التقديم و التأخير

٣. الالتفات

١. الحذف:

«لا ينال امرؤ من غضارتها رغباً إلا أرهقته من نوابها تعباً»^٢.

في هذا القسم قصد الإمام تنبيه المخاطب على عدم الاغترار بالدنيا؛ إذ حلاوتها قليلة ولذتها فانية؛ يلحقها تعب مرير وأرق طويل.

فلتبيين هذا المعنى وتوسيع دائرة الدلالة حذفت الصفة. فتكبير «رغباً وتعباً» هو الدال على هذه الانزياحية، واستيعابية المعنى شاسعة؛ يمكن استنتاجات عديدة من هذه الوحدة اللفظية.

فيعبر حيناً لاينال رغباً صغيراً إلا أرهقته من نوابها تبعاً طويلاً.

أو يمكن أن ينقلب النظر عن هذه الإيحائية إلى أخرى نحو:

لاينال امرؤ من غضارتها رغباً [حسناً] إلا أرهقته من نوابها تعباً [خبثاً سيئاً]

١. ميرغني، ٢٠٠٩/٧٢-٧٠.

٢. خ ١١١/ص ٢٧١.

و لولا الحذف لما تكاثفت قدرة النص الإيحائية ولبقي الكلام كما يرى في البنية السطحية.

فشبكة الانزياحية تتجلى في الخريطة التالية:

الدلالة في البنية السطحية: لاينال ... رغياً إلا أرهقته ... تعباً شبكة الانزياحية الدلالة في البنية العميقة:			
خبثاً		واحداً	
طويلاً		قليلاً	لاينال رغياً
كبيراً		صغيراً	
مهلكاً		حسناً	
موتياً		ممتعاً	نور الانزياح تكثيف المعنى أي: الانتقال من معنى واحد إلى معان كثيرة
	نور الانزياح		
	تكثيف المعنى أي: الانتقال من معنى واحد إلى معان كثيرة		

«فخذوا من ممركم لمقركم».

فعل " أخذ " من الأفعال التي تتعدى بالمفعول لكن هذه الوحدة تفقد المفعول وانزاحت عمّا وضع في أصل اللغة.

فانظر إلى شبكة الانزياحية:

ضميمة الضميمة	الضميمة	المفعول به	الفاعل	الفاعل	البنية المتوقعة (العميقة)		
	من ممركم	الزاد	واو	خذ		شبكة الانزياحية	
ضميمة	الضميمة	المفعول	الفاعل	الفاعل			

١. خ ٢٠٣ / ٤٦٦.

الضميمة		به			البنية		
لمقرم	من ممرم		واو	خذ	السطحية (المفاجأة)		

(راجع: الجنابي، ٢٠١٠، ٩٢).

فحذف المفعول به (ما يؤخذ من الممر للمقر) وهذا مما أدى أولاً إلى توسيع دائرة الدلالة؛ إذ كل عمل صالح مهما يكن صغيراً أو كبيراً يتقل المكيال ويعبّد الطريق الذي يسلكه الإنسان، فهذا الزاد يشمل جميع الحسنات ولا تغادر صغيرة ولا كبيرة إلّا تحصى.

ثانياً: إنّ الفاصل الزمكاني بين الممر (الدنيا) والمقر(الأخرة) قصير جداً حيث إنك لا تشعر بعد رحلتك هذا الفاصل؛ فالأجل يقترب منك عاجلاً أو آجلاً فحذف المفعول به في هذه الوحدة اللفظية يرشدنا إلى هذا المعنى اللطيف الدقيق.

«فانية فان من عليها».

الحذف ههنا أدى إلى التوحيد الدلالي الذي يقع بين المسند والمسند إليه أو بين الصفة والموصوف. الدنيا فانية.

فحذفت الدنيا لتصبح هي والفناء شيئاً واحداً.

«كل من عليها فان * ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام»^٢، فلعبت الانزياحية دوراً دلاليّاً ملحوظاً في

هذا المعنى الدلالي.

أنظر إلى الخريطة التالية:

المعنى الحقيقي

الدنيا فانية الانزياحية

١. خ ١١١ / ٢٧٢.

٢. الرحمن / ٢٦ و ٢٧.

التوحيد الدلالي	حذف الدنيا
الفناء	الدنيا
	البحث

فلولا هذه الانزياحية لم تكن نعي هذا المعنى ولفاتت هذه الملاحظة الجديرة بالاهتمام فلا بد للإنسان أن يقطع حبل علاقاته من الدنيا الدنية الفانية.

٢. التقديم والتأخير:

وهو من أكثر الانزياحات التركيبية شيوعاً. ويكثر في مختلف النصوص كما يحمل دلالات متباينة، ويسهم إسهاماً كبيراً في تضخيم المعنى ونضوجه الدلالي ومن أمثلة ذلك: «وكل شيء من الدنيا سماعه أعظم من عيانه. وكل شيء من الآخرة عيانه أعظم من سماعه»^١.

في هذه الوحدة تتقدم الشمولية على سائر الوحدات وذلك يتمظهر في تقديم (كل)، ثم في تنكير (شيء) وهو يؤدي إلى توسيع دائرة الأيحاءية. فكل ما يوجد في الدنيا كبير سمعا لا عينا وهو يتبدل إلى شيء حقير ضئيل لوعوين واقترب من الإنسان وهو خلاف لما يصوره الإنسان من تضخيم وتكثيف. ففي الشطر الثاني من هذا المقطع، تتمظهر الآخرة فيما يقابل تصوير الدنيا، فالشمولية نفس الشمولية والأداة نفس الأداة (كل) والتنكير نفس التنكير؛ لكن ما يجعل الوحدة مقابل الوحدة المسبقة هو الاستبدال المكاني أي الانزياح المكاني في كلمتي: «سماع وعيان».

١. خ. ١١٤ / ٢٧٩.

فالآخرة أشد من من الدنيا وأعظم، فما نسمع عنها مجرد لفظ ينتشر في الفضاء لكن الحقيقة أعظم درجة أكبر نطاقا .

وهذا الانزياح أفضل طريق تبين كيفية الدنيا والآخرة والفاصل الزمكاني موجود بينهما. أنظر إلى الخريطة التالية:

		الانزياح التركيبي		
كل شيء	من الدنيا	سماحه أعظم من عيانه	تقديم الدنيا على الأخرى	تقديم
كل شيء	من الآخرة	عيانه أعظم من سماحه	تقديم الأخرى على الدنيا	الشمولية

ولولا الانزياح التركيبي لفات كل ما قصد بهذين الشطرين من نقص درجة الدنيا وتعظيم درجة الأخرى. فلماذا قدم الدنيا على الأخرى ؟

ما يبدو من ظاهر الأمر - والله أعلم - أن الدنيا قريبة منا وهذه القرابة الزمكانية أدت إلى عظم الدنيا في عيوننا وارتقاء مستواها في أذهاننا؛ فقدم الدنيا لينبه لما في الدنيا من الدنو والدناءة مقارنة مع الآخرة، وأخر الآخرة لتبين هيبتها وتعظيم شأنها؛ إذ عيانه أعظم من سماحه وما يتصف بهذه الصفة لا شك أمر جليل ولا بد من الاستعداد والتأهب للقائه (خ ٢٧٩/١١٤)

" أفلا تأنب من خطيئته قبل منيته الأعامل لنفسه قبل يوم بؤسه " (خ ٢٧٩/١١٤) .

البنية السطحية انزاحت عن البنية العميقة وهذا أدى إلى تكثيف الإيحائية الموجودة في النص.

أنظر إلي الجدول التالي:

قبل يوم بؤسه	نفسه	الأعمال	قبل منيته	من خطيئته	تعب	أفلا	البنية السطحية
نفسه	قبل يوم بؤسه	الأعمال	من طينته	قبل منيته	تعب	أفلا	البنية العيقة

فإن التوبة من الخطيئة يجب أن يكون قبل إدراك الناس الموت، كما أن العمل للنفس لا طائل وراءه إلا إذا كان قبل يوم البؤس أي الموت، وهذا المعنى يتجلى واضحا في الانزياحية التي أحدثت في البنية السطحية ولولاها لفات الغرض الغائي الذي استهدفه الخطيب وهو المبادرة بالعمل قبل فوات الأوان، واغتنام الفرص قبل انقطاع النفس .

فلهذا قدم الخطيب، التائب من الخطيئة علي المنية وقدم العامل للنفس على يوم البؤس .

«العيش فيها مذموم والأمان فيها معدوم وأما أهلها فيها أغراض مستهدفة ترميهم بسهامها وتقنيهم بحمامها» .

الانزياح التركيبي في هذه الوحدة الدلالية يترأى في تقديم ما يحبزه الإنسان من العيش والأمان وانتهاء الوحدة بالحقيقة التي لا تحلو لكنها حقيقة وهي ذم العيش وانعدام الأمان، وأن الأهل يرمي بسهام الموت فيفنى.

وتقدم الجار والمجرور الذي يوفي معنى الوعائية وهو (في) تأكيدا على ما في الدنيا من: عيش فان وأمان زائل وأهل راحل .

البنية	العيش فيها	مذموم	الأمان فيها	معدوم	أهلها فيها
--------	------------	-------	-------------	-------	------------

١. خ ٢٢٦، ٥٠٢.

السطحية البنية العميقة	العيش	منموم	فيها	الأمان	معدوم	فيها	أهلها	أغراض	فيها	أغراض
------------------------------	-------	-------	------	--------	-------	------	-------	-------	------	-------

في كل الوحدات التركيبية توسطت (فيها) وهي وحدة لفظية متقدمة جيء بها لتدل على الدنيا وما فيها من زخارف لا ملاذ فيها وكلها سائرة إلى الهلاك. ومن أنواع الانزياح التركيبي هو الالتفات أي الانتقال من أسلوب إلى آخر؛ يمكن أن يكون هذا الانتقال من الفعل الماضي إلى المضارع أو ضمير المخاطب إلى الغائب أو غير ذلك نحو:
الالتفات من الايجاب إلى السلب:
«الزموا الأرض واصبروا على البلاء ولا تحركوا بأيديكم»^١.

الالتفات الاستدراكي المعنوي:
وهو الذي يتم بـ«بل ولكن» لجذب المخاطب وتنبيهه إلى المعطوف ببل وما يلي لكن من معنى .
«ثم ظعنوا عنها بغير زاد مبلغ ولا ظهر قاطع، فهل بلغكم أن الدنيا سخت لهم نفسا بقدية وأعانتهم بمعونة أو أحسنت لهم صحبة بل أرهقتهم بالقوادح، وأوهنتهم بالقوارع»^٢.

الالتفات من الأسلوب الخبري إلى الأسلوب الإنشائي:
«وكانوا أحق بها وأهلها في ملك دائم ونعيم قائم؛ فارعوا عباد الله ما برعايته يفوز فائزكم»^٣.

١. خ. ٤١٩/١٩٠.

٢. خ. ٢٧٣/١١١.

٣. خ. ٤١٩/١٩٠.

الالتفات من مقومات الخطب، ولا سيما الطويلة منها؛ فإذا المخاطب انفلت عن الموضوع وانزاح عن الجوال موجود فالالتفات ينبهه ويستقيم فكره ويقوم اتجاهه .

ففي الالتفات من الإيجاب إلى السلب نرى الخطيب يأمر المخاطب بغية الإرشاد؛ ما إن شعر بأن المخاطب ازدجر ونفر من الأمر أو تعدت أذنه على استماع هذا السياق، عدل عنه إلى حيث قال: الزموا أرض، واصبروا على البلاء ولا تحركوا بأيديكم .

فعدل عن الأمر في فعلي الزموا واصبروا إلى صيغة النهي وهو: لا تحركوا .

أما الالتفات الاستدراكي المعنوي فنوع آخر من أنواع الالتفات يدرك بالمعنى ويأتي غالباً ما بأدوات الاستدراك: بل ولكن .

فالمتلقي يستدرك ما سبق قوله بما يلي هذين الحرفين: وذلك ما مثلناه في النموذج الثاني .

أنظر إلى الخريطة التالية:

نوع الانزياح	أداة الانزياح	درجة الانزياحية
الالتفات المعنوي الاستدراكي	أداة الاستدراك	ترجمة الاستفهام الإنكاري بصورة الفعل الماضي اليقيني
		بل فهل بلغكم أن الدنيا سخت لهم نفساً بقدية أو أعاتهم بمعونة أو أحسنت لهم صحبة أرفقتهم بالقوادح وأوهنتهم بالقوارع

فالإمام (عليه السلام) يبدأ كلامه بالاستفهام الإنكاري لتستعد نفوس المخاطبين وتكثر استيعابيتها ولتستقبل الحقيقة برحابة صدر، ثم يأتي بالحقيقة اليقينية: فالدنيا لا تجود على الإنسان ولا تساعد ولا تصاحبه صحبة

صديق نصح بل الحق أنها تتعب من فيها لا بقادحة بل بقوادح وتضعف من التصق بها لا بقارعة بل قوارع .

فهنا انزياح آخر وهو العدول عن المفرد إلى صيغة الجمع دلالة على كثرة المصائب التي تصل إلى أبناء الدنيا الذين اشتغلوا بها وانشغلوا عما يفيدهم في حياتهم الأخرى.

الانتقالات الأسلوبية أي الانتقال من الأسلوب الخبري إلى الأسلوب الإنشائي:

وذلك من أرقى الأساليب الموجودة في الفن الخطابي وهو مما يثير رغبة المخاطب ويشجعه على مواصلة الاستماع إلى الكلام والاستمتاع به .

وذلك نحو المثال الثالث الذي أشرنا إليه.

أنظر إلى الشبكة الانزياحية التالية:

«كانوا أحق بها وأهلها في ملك دائم ونعيم قائم

فارعوا عباد الله برعايته ما يفوز فائزكم»^١

فعل	فعل
تام	ناقص
مخاطب	ماض
أمر	للغائب

فهذا انتقال من الفعل الناقص إلى الفعل التام من حيث اللفظ، وانتقال زمني من الماضي إلى المخاطب وانتقال سياقي من الغائب إلى لمخاطب.

والانزياح التركيبي واسع النطاق، مترامي الأطراف.

١. خ. ١٩٠/١٨ و ٤١٩.

نهج البلاغة يزخر بهذه الأسلوبية التي أدت إلى تعميق معناه الدلالي .

لكننا أتينا بنماذج قليلة واخترنا باقية من ورود هذه الحديقة الجميلة الفواحة .

ومما تجدر ملاحظته ههنا أن الدنيا في نهج البلاغة لم يكن إلا مقارنة بين الدنيا الدنية والآخرة السرمدية وهذا ما جعل الطبايق يكثر فيه.

فعنصر الطبايق وهو انزياح عن الوحدات الدلالية الإيجابية يجعل دائرة زمكانية واسعة بين الوحدات المتضادة و يؤدي إلى توسيع المعنى؛ إذ يقول الفلاسفة: «تعرف الأشياء بأضدادها»، وهذا ما يسمى انزياحا دلاليا

من نماذجه:

«فإن الدنيا لم تخلق لكم دار مقام بل خلقت لكم مجازا»^١.

«أيها الناس إنما الدنيا دار مجاز والآخرة دار قرار»^٢.

«فخذوا من ممركم لمقركم»^٣.

«عذبها أجاج، و حلوها صبر و غذاؤها سمام و أسبابها رمام»^٤.

«حيها بعرض موت و صحيحها بعرض سقم»^٥.

«لم يكن امرؤ منها في حبرة إلا أعقبته بعدها عبرة»^١.

١ . خ ٣٠٥/١٣٢٢ .

٢ . خ ٣٠٥/١٣٢٢ .

٣ . خ ٤٦٦/٢٠٣ .

٤ . خ ٢٧٢/١١١ .

٥ . خ ٢٧٢/١١١ .

«لا يمسي منها في جناح أمن إلا أصبح على قوادم خوف»^٢.

«وذى أبهة قد جعلته حقيرا وذى نخوة قد ردتة ذليلا»^٣.

«إن اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل».

أنظر إلى الشبكة الانزياحية:

لم نتمكن من إدراك ماهية الدنيا إلا إثر هذه الانزياحية الدلالية التي أوجدها التباين الدلالي؛ فالدنيا دار مجاز مقابل الآخرة التي هي دار قرار والدنيا الممر الذي لا يبد من اجتيازه مقابل الآخرة التي هي دار قرار والدنيا يوم عمل واجتهاد، والآخرة يوم حساب وجزاء .

والملاحظ أن الطباق في كل مجموعة من المجموعات يشكل وحدات مشتركة ايجابية؛ وهذه الوحدات الاشتراكية التي ذكرت بفواصل خاصة هي التي أحكمت مواضع الوحدات المضادة .

أنظر إلى النموذج التالي:

من يمعن النظر في الوحدات المشتركة يبصر بكل وضوح أن هناك سيرا منطقيا دلاليا بين هذه الوحدات، فالدنيا دار مجاز يمر به الإنسان، وفي هذا الممر لا يبد أن يدخر الزاد؛ فهذا الممر يوم عمل ولا حساب .

والآخرة دار قرار يستقر فيه الإنسان ويحاسب بأعماله و يرى ما ادخر من الزاد.

فهذه الوحدات المضادة في البنية السطحية تحتوي على فحوى اشتراكية في البنية العميقة: أما الدنيا من دون

١. خ ٢٧١/١١١.

٢. خ ٢٧١/١١١.

٣. خ ٢٧٢/١١١.

النظر إلى العقبى فحياة مليئة بالتضاد وذلك يتبين في النموذج التالي:

على أساس ما يتبين من الانزياحية في الجدول يستنتج بأن الدنيا التي دارمجاز هي التي تموج بالتضاد حيث إنه يمكن القول بأن الدنيا هي انزياحية فحسب فلا عذوبة فيها إلا ينتهي بالكدره ولا الحلاوة فيها إلا يليها مرارة .

الغذاء الذي يتناول ذو غصة قاتلة يشبه السم الهالك، ومن تمسك بحبل منها رآه تقطع وصار رميما فتيتا؛ أفراحها قرينة الأتراح؛ وأمنها لا يطمأن به وكأنه التجاء من الرمضاء بالنار؛ إذ هو رهين الخوف والرهبه وهذا الانزياح يرشدنا إلى شيء من التشكيك الوجودي الذي ذهب إليه بعض الفلاسفة؛ فالدنيا دار الأضداد و دار الأضداد هي المجاز حقا. هذا المعنى العميق الذي نراه في الفِقْر لم يكن يوجد إلا بفضل الانزياح.

إضافة إلى الانزياح الدلالي نشاهد انزياحات أخرى تتوقف على الفونيمات، والنبر، والإيقاع الموجود في النص، وهو ما يؤثر أثرا كبيرا على الدلالات البنيوية التي تشكل البنية العميقة أو السطحية وذلك ما يسمى بالإنزياح الصوتي ويتجلى بمظاهر مختلفة منها: الحزم الصوتية، والسجع، والتكرار ثم تأثير كميات الأصوات المتكاثفة في النص.

١ - الحزم الصوتي: وهو يتمثل في: «بث مجموعة من الأصوات المكورة في نسيج الخطاب لإثارة طاقته الإيحائية الكامنة وتفجير إمكاناتها الوافرة» .

في الواقع الحزم الصوتية مجموعة من الأصوات التي تكوّن وحدة لفظية واحدة حيث إن الصوت يوحي المعنى الدلالي فلا يمكن حينئذ تغييره لأن التغيير يسبب حرمان اللفظ من الطاقة الإيحائية الفونيمية.

ومن أمثلة الحزم الصوتية في نهج البلاغة هي:
زحزح: تزحزح تزحزحا عن مكانه: تباعد وتتحى؛ فالزاء من الحروف الرخوة المجهورة المرققة، والحاء رخوة مهموسة مرققة حلقيه، فتكرار هذين الحرفين واحدا تلو الآخر أدى إلى انطباق الصوت والمعني إضافة إلى ذلك إن وزن فعل يدل على الحركة؛ فللفظ انطباق تام والمعنى، زلزل: تزلزل تزلزلا الأرض: اضطربت وارتجفت واهتزت؛ الزاء كما أشرنا حرف مجهور، اللام حرف منصرف؛ فالزاء تدل على الصوت الرهيب الذي ينبعث إثر الزلزال؛ اللام تدل على انحراف الأرض وما تحويه من الأشياء؛ و الوزن: هو فعل الذي يدل على الحركة، إذن الحزمة الصوتية تنطبق على الوحدة الصوتية.

ضعضع فلانا: ألقاه في اضطراب؛ حرف الضاد حرف شديد مجهور مفخم؛ والعين مجهور حلقي؛ فشدّة الضاد وتكرارها وجهورة العين وعمقها دلًا على شدة الاضطراب والقلق الموجود .

الوزن فعل يدل على خفق القلب وغليان النفس .
حنين: حن حنينًا: صوّت؛ الحاء حرف رخو مهموس مرقق والنون حرف أنفي لثوي، والحنين هو صوت حزين إثر فاجعة أو كارثة أو قيل: صوت شوق للقاء حبيب؛ فحرف الحاء الرقيق المهموس يدل على رقة الذي يحن ولثوية النون يدل على التأوهات التي تخرج عن صدر متلهف.

فالحزم الصوتية تؤثر على تجميل النص وتقريب المعنى الدلالي، وكلام الإمام لا يخلو منه بل الحزمة الصوتية جعلت من خطبه بضاعة دسمة غالية.

٢. السجع: هو موسيقى النثر كما يعضد القدرة الإيصالية التي تتكى عليها ويجعل الكلام يبلغ الأذان ويلج القلوب، وجلّ الخطب في أي موضوع كانت لا تخلو من السجع.

ومن نماذجها في نهج البلاغة:

«فإن الدنيا قد أدبرت وأذنت بوداع وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع»^١.

«ألا إنكم في أيام أمل من ورائها أجل»^٢.

«فهي تحفز بالفناء سكانها وتحذر بالموت جيرانها»^٣.

أنظر إلى الخريطة التالية:

الإيحائية	نوع الانزياح الصوتي:	
انتهاء المقطع بالتاء المهموسة يدل على مضي الدنيا بهمس غير محسوس وإقبال الآخرة بشكل غير متوقع	أدبرت واذنت	أقبلت وأشرفت
اللام تمل على القطع، فالأمل ينقطع بالأجل والأجل يقطع يد الأمل إلى الأبد	أجل	أمل
تحفز الدنيا الإنسان على زخارفها التي تريها جهرة وهذا ما يبدو من حرف الزاء؛ فالندى تحيط الناس بالموت يوماً. الراء للتكرار يدل على هذا الحكم المستمر في الدنيا.	تحفز	تحذر

فالسجع يلعب دوراً حاسماً في تأدية المعنى المنشود، وكما جاء فيما سبق إيحائية المقاطع التي ختمت بالتاء

١. (خ) ٢٨/١٢٥.

٢. (خ) ٢٨/١٢٦.

٣. (خ) ٥٢/١٥٦.

تدل على الخفية وعدم الوعي، فمضي الزمن غير محسوس والموت الذي يلحق الدنيا بالعقبى لا يخبر، واللام تدل على القطعية؛ قيد الأجل تعجل في إزالة الآمال ولا شك يأتي الأجل ويضرب الآمال بصرامة وقاطعية .

والدنيا ثمة تغر الإنسان؛ وتلهية بزخارفها؛ وتحدر دم الناس أجمعين وهذا سنة الله ولا تجد لسنة الله تبديلا؛ والموت حقيقة تتكرر ولا يعرف سلطانا أو فقيرا؛ والراء هي حرف التكرار وتدل على تكرار الموت .
أحيانا السجع يدل على تأوه مقلوب على من مات، والهاء تدل على الأفول والزوال .
وذلك تتمثل في هذا الشطر من كلام الإمام علي (عليه السلام):

«الذين احتلبوا درتها وأصابوا غرتها وأفنوا عدتها وأخلقوا جدتها»^١.

التأوه المقلوب يتجلى في ما تكرر في آخر المقاطع أي(ها) وفي هذا الشطر نرى التكرار والسجع يقترنان، و ثمة الهاء المهموسة تدل على الأفول والزوال فاحتلبوا درتها فراحت نحو الزوال وأفنوا عدتها فتأوهوا على ما أصابهم .

بالرغم من أن السجع هو انزياح صوتي صريح، لكن هناك انزياح صوتي رائع حينما يتوقع المستمع الإتيان بوحدة صوتية خاصة ثم يفاجئه المنكلم ويأتي بوحدة صوتية مختلفة وذلك نحو:

١ . خ . ٥٠٨ / ٢٣٠ .

«فان الدنيا لم تخلق لكم دار مقام بل خلقت لكم مجازا»^١.

فان مقام يتطلب اسما يشبهه في الوزن في المقطع الثاني، لكن مجازا الذي جاء في المقطع الثاني يختلف معه اختلافا كبيرا وذلك لغاية دلالية؛ فان مقام يختتم بحرف الميم الذي يدل على القطعية والثبوت ثم تنضم إليه حركة الكسرة بعد الفتحة بعمق وذلك يدل على ما في لفظ مقام من معنى .

أما مجازا فلم يأت على وزنه ولا اختتم بحرف الميم كما ختم مقام .

انتهى مجازا بحركة الفتحة التي تنتشر في الفضاء وهذا ما يؤدي إلى تقويم إيحائية هذه الكلمة .

وكل هذا جيء به ليتميز الخلاف الشائع الموجود من: مقام ومجاز.

٣. التكرار: التكرار من انواع الانزياحات الصوتية التي تقوم بتكثيف المعنى الدلالي الذي غالبا ما يكون للتوكيد .

ومن أمثلة التكرار في نهج البلاغة هو:

«فتزودوا في الدنيا من الدنيا ما تحرزون به أنفسكم غدا»^٢.

«فلم يبق منها إلا سملة كسملة الإداوة أو جرعة كجرعة المقلّة»^٣.

«لوحننتم حنين الوله العجال»^١.

١ . خ ٣٠٦/١٣٢٢ .

٢ . خ ١٢٧/٢٨٨ .

٣ . خ ١٥٦/٥٢٢ .

«لوانماتت قلوبكم انميائاً»^٢.

«محمولا على أعواد المنايا يتعاطى به الرجال
الرجال»^٣.

فالتكرار في هذه الأمثلة تكرر تجاور وإضافة إلى التوكيد المعنوي يرشدنا إلى المعنى الوصفي الذي تتضمنه اللفظة؛ وذلك نحو: سملة كسملة الإداوة أو جرعة كجرعة المقلة؛ حيث يبين بأداة التشبيه المعنى الذي تحمله السملة أو الجرعة.

ومما جاء للتوكيد فحسب، يمكننا الإشارة إلى: «انماتت قلوبكم إنميائاً» و «يتعاطى به الرجال الرجال».

فالتكرار أيضاً يقوم بمهمة هامة في القذف المعنوي، وما يتميز به التكرار اللفظي هو أنه يشمل التكرار الصوتي الذي يساعد الموسيقى.

فبعد ما تعرفنا على الانزياح الصوتي وقطفنا منه باقة من كلام أمير المؤمنين عزمنا على تبين تأثير المد و أثره الدلالي في النص وذلك في خطبة ٢٠٣ نموذجاً والمعنونة بـ:

التزهيد من الدنيا والترغيب في الآخرة؛ أما الخطبة فهي:

«أيها الناس، إنما الدنيا دار مجاز والآخرة دار قرار، فخذوا من ممركم لمقركم، ولا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم؛ وأخرجوا من الدنيا قلوبكم من قبل أن تخرج منها أبدانكم؛ ففيها اختبرتم ولغيرها خلقتم. إن المرء إذا هلك قال الناس: ما ترك؟ وقالت الملائكة: ما

١. خ ١٥٦/٥٢.

٢. خ ١٥٧/٥٢.

٣. خ ٣٠٦/١٣٢.

قدم؟ الله أبأؤكم، فقدموا بعضا يكن لكم فرضا، ولا تخلوا
كُلًا فيكون عليكم».

تكرر المد في هذه الخطبة القصيرة ست وعشرين مرة
وهذا التكرار يقارن حرف الميم القاطع الذي يكون من
الحروف المغلقة.

ولهذا المد في الخطبة - على ما علمنا - سبع دلالات
هي:

١. النداء الخفي لإيقاظ البشرية

٢ - تأوه مقلوب على الذين استمسكوا بزخارف الدنيا

٣ - وجود الهاء الخفية وتكرارها ينبه المخاطب،
وكأن هذا الحرف حرف تنبيه يهمس في أذن المتلقي.

٤ - المد امتداد الحياة من الدنيا إلى الأخرى، فالحياة
ليست لها نهاية والموت جسر يمد الحياة الدنيوية إلى
الحياة الأخروية.

٥ - حرف المد يرشدنا إلى الوقوف وامتداد والقيام
نحو العمل الصالح للأخرة.

٦ - وجود حرف المد مع أدوات النفي للتوكيد، وذلك
يتمظهر في حرف «لا».

٧ - وجاءت للتوكيد على تحقق وقوع وقطعية الموت
وذلك يتمظهر في «إذا».

فتكرار المد في هذا المقطع إنزياح عن الكلام
العادي؛ لأن الكلام العادي يخلو من التكرار وهذا يسمى
الانزياح الصوتي الدلالي الذي يجعل النص يستوعب
كثيرا من المعاني الجميلة.

النتائج:

١ - نهج البلاغة يعد من النصوص الإسلامية السامية
ويستوعب كثيرا من الأسلوبيات التي أحدثت في
العشرينيات.

٢ - إن كلام الإمام علي عليه السلام دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق وما يدل علي ذلك هو التطبيقات التي يقوم بها الباحثون ومثال ذلك أسلوبية الانزياح الذي احتوى نهج البلاغة على كثير من نماذجها.

٣ - الانزياح بأنواعه من الاستبدالي والتركيبى والصوتي يتمثل تماماً في نهج البلاغة وهذا جعل النص يحتوي على بنيات عميقة متكاثفة.

٤ - نهج البلاغة وهو العقد الفريد الذي يتلأأ بين النصوص تصدّر عن صدر كان ساحة واسعة من العلم و المعرفة ومن العلوم الشاملة التي لا بد أن يطالع عليها هي التي مهدّت أرضية خصبة للنموالإيحائي، فخطب نهج البلاغة تقترب من الإعجاز بل هي الإعجاز حقاً لا غرو فيه؛ إذ منزلة الخطيب وهو علي بن أبي طالب من الرسول بمنزلة هارون من موسى كما أن نهج البلاغة هو أخو القرآن.

٥ - إن الدنيا وحقيقتها تتجلى لنا بأدق شكل وأحسن صورة في هذا التحليل الإنزياحي.

٦ - هذه الدراسة الموجزة نافذة أمام من أراد الولوج في محيط هذا البحر الذي لا يساجل ولا يخلو من اللآلي الحقّة التي تكمن فيه.

قائمة المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم
٢. نهج البلاغة (شرح: محمد عبده)
٣. أبو العدوس، يوسف، (٢٠١٠م)، التشبيه والاستعارة من منظور مستأنف، الطبعة الثالثة، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع .

٤. الجنابي، أحمد نصيف، (٢٠١٠م)، البنية والأسلوب في التراكيب القرآنية وقضية الإعجاز مقارنة أسلوبية لسانية، الطبعة الأولى، عمان: داركنوز المعرفة العامة للنشر والتوزيع .

٥. سلوم، تامر، (١٩٩٦)، "الانزياح الصوتي الشعري"، مجلة آفاق الثقافة والتراث، العدد: ١٢ المأخوذ من الموقع: noormags .

٦. محمد ويس، أحمد، (٢٠٠٥)، الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية، الطبعة الأولى، بيروت: المؤسسة الجامعية.

٧. ميرغني، هاشم، (٢٠٠٩)، "أسلوبية الإنزياح ودورها في التحليل النصي: رواية "عصافير آخر أيام الخريف نموذجاً"، مجلة العلوم والثقافة، الرقم الخامس المأخوذ من الموقع: <http://www.sustech.edu.s> ١s /٢٠٠٦/٢/٢٢٤٠٠٥٦٩ .stsff.pvb\icarions/

المصادر والمراجع المساعدة

١. أنصاريان، علي، (١٣٦٢ش)، الدليل على موضوعات نهج البلاغة، تهران: انتشارات اميركبير.

٢. ابن أبي الحديد، (٢٠٠٧م)، شرح نهج البلاغة (تقديم: محمد إبراهيم)، بغداد: دارالكتاب العربي.

٣. ابن ميثم البحراني، (لا تا)، شرح نهج البلاغة، تهران: چاپ دانشگاه.

٤. البحيري، أسامة، (٢٠٠٩)، البنية المتحولة في البلاغة العربية، الطبعة الأولى، كفرشيخ: دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع .

٥. جرداق، جورج، (٥١٣٩٥)، روائع نهج البلاغة، بيروت، القاهرة: دارالشروق.

٦. خوئي، حبيب الله، (١٣٥٢ هـ)، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، تيريز: مطبعة عنيمة .
٧. الخويسكي، زينكامل، (٢٠٠٩)، في الأسلوبيات، الأزاراريطة: دارالمعرفة الجامعية.
٨. شوشتري، محمد تقي، (١٣٧٦ ش)، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، تهران: اميركبير.
٩. الصابوني، الشيخ محمدعلي (٢٠٠٦)، الإبداع البياني في القرآن العظيم والأمثال والتشبيه والتمثيل والاستعارة والكناية مع الإمتاع بروائع الإبداع، الطبعة: الأولى، بيروت: شركة أبناء الشريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع المكتبة العصرية.
١٠. علوان، سلمان محمد، (٢٠٠٨م)، الإيقاع في شعر الحدائث، ط: ١، الإسكندرية العامرية.
١١. عياشي، المنذر، (٢٠٠٩)، الأسلوبية وتحليل الخطاب، الطبعة الأولى، دمشق: مركز الإنماء الحضاري، دارالمحبة- دارالآية .
١٢. قطب راوندي، سعيد بن هبة الله (١٤٠٦ هـ)، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، قم: مكتبة آية الله المرعشي النجفي.
١٣. مغنية، محمدجواد، (١٩٧٢م)، في ظلال نهج البلاغة، بيروت: دارالعلم للملايين.
١٤. وغيلسي، يوسف، (٢٠٠٨)، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، الطبعة الأولى، الجزائر: منشورات الاختلاف، وبيروت: الدار العربية للعلوم وناسرون .
١٥. هنداوي، عبد الحميد أحمد يوسف، (٢٠٠٨م)، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، بيروت: شركة

أبناء الشريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع،
المكتبة العصرية.